حصون سَيْنَاء الثغرية الساحلية وتخومها من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي
" دراسة تاريخية – آثارية معمارية في ضوء الاكتشافات الآثارية الحديثة "

د. سامي صالح عبدالمالك البياضي♦

ثغور سَيْنَاء الساحلية وتخومها من الناحية الحربية الدفاعية كانت ولا تزال لها أهميتها الحاكمة، فهي بمثابة بوابة ومدخل مِصْر الشرقي، إذ أن موقعها البوابي هذا أهّلها لأن تكون المِفتاح الاستراتيجي الشرقي لا لمِصْر وحدها بل لكل ما يليها غرباً بلا مُنازع، فهي البُقعة الوحيدة في العالم التي حرثتها الجيوش حرثاً بكثافة غير مسبوقة، إما غازية منها وإليها، أو فاتحة، أو مدافعة عن مِصْر، وكانت ولا تزال بهذا الموقع المتفرد بمثابة همزة الوصل بين الشرق والغرب، وقد تطلب هذا الموقع الحاكم، والخطير إقامة الحصون والأسوار ذوات البوابات الدفاعية المحصنة للحفاظ على هذه المنطقة الحيوية عبر الحقب والعصور التاريخية المتعاقبة، خاصة في الثغور البحرية الساحلية، والحدود المتاخمة، وعلى الطُرُق الرئيسة، وفي الممرات الحاكمة المؤثرة التي كانت تسلكها الجيوش عبر سَيْنَاء، واستمر الاهتمام بتحصينها بعد الفتح الإسلامي لها على يدي عمرو بن العاص الذي استطاع فتح أخر معاقلها الفَرَمَا في غُرة شهر المحرم من سنة ١٩هـ/ يناير عام ٦٤٠م، ومنذ ذلك التاريخ هنا انتقلت تبعية سَيْنَاء من الدولة البيزنطية إلى الدولة الإسلامية.

والبحث زمانياً في هذه الدراسة لحصون سَيْنَاء الثغرية وتخومها الحدودية يمتد من خلال تمهيد زماني يهدف إلى التعرف على وضع ثغور سَيْنَاء وتحصيناتها في أواخر العصر البيزنطي، أي قُبيل الفتح الإسلامي لسَيْنَاء بقسميها الجنوبي، والشمالي، وتمتد الدراسة حتى نهاية العصر الفاطمي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

أما مكانيًا ستركز الدراسة على المنطقة الجغرافية الواضحة المعالم المكونة لسَيْنَاء وتخومها الحدودية الطبيعية القريبة منها، حيث أُقيمت في مواضع المخافة الثغرية بسَيْنَاء الساحلية البحرية الشمالية الممتدة من رَفَح ورباط الشجرتين في أقصى الشمال الشرقي، وتستمر على طول الساحل الشمالي فتوجد عدة مناطق ثغرية حيث العَرِيْش " رينوكورورا، *Rinocorura* " التي كانت بمثابة مسلحة ورباط، والفلوسيات " اوستراكين، *Ostrakine* "، والقس " كاسيون، *Kasion* "، والمحمدية " جارا،

♦مدير آثار بالمجلس الأعلى للآثار – **ألقى ملخص البحث ولم يقدم البحث للنشر بكتاب مؤتمر ٢٠١٠م**

Gerra "، والفَرَمَا " بيلوز، *Péluse* "، ورباط الأشتوم " أم مفرج "، وصولاً إلى حصن تنيس في أقصى الشمال الغربي لتخوم سَيْنَاء، وأيْلَه " العَقَبَة " على رأس ساحل خليج العَقَبَة في الجنوب الشرقي لشبه جزيرة سَيْنَاء، وثغر القُلْزُم " السَّوْيس " على رأس خليج القُلْزُم وصولاً إلى مرسى راية " رايثو، *Rhaithou* "، وأن هذه الثغور المحصنة ذات الأربطة والحصون تولت حراسة ثغور سَيْنَاء الساحلية والبرية، إذ كانت هذه الحدود البحرية من المواضع المخافة التي تصلح كمداخل يُمكن للعدو أن يطرق البلاد من خلالها، ومن هنا حرص أولو الأمر من خلفاء وولاة على تحصين هذه الثغور عن طريق بناء أربطة محصنة، وحصون يُقيم ويحتمي فيها المرابطون للدفاع عن الحدود الثغرية ضد حملات البيزنطيين.

وستركز الدراسة على الحصون التي تم تشييدها في فترة الدراسة، وتم اكتشافها عن طريق الحفائر الآثارية، وذلك من خلال منهج علمي متكامل بين ما ورد في النصوص التاريخية، وما كشفت عنه الحفائر الآثارية في السنوات الأخيرة من بقايا لهذه الحصون، كحصن الفلوسيات في غرب العَرِيْش الذي من أواخر العصر البيزنطي، وحصن دير الوادي شمال شرق الطُّور من العصر الفاطمي، وهناك حصن الفَرَمَا، وحصن وأسوار تِنِيس كلاهما شيد في العصر العباسي في عهد الخليفة العباس المتوكل على الله، وفي ولاية عنبسة بن إسحاق الضبي على مِصْر.

كما أن حصن راية في جنوب مدينة الطُّور، وحصن أيْلَه في طرف مدينة العَقَبَة، كلاهما تم اكتشافه عن طريق الحفائر الآثارية مؤخراً، وهما يُؤرخان في العصر العباسي، واستمر استغلالهما حتى أواخر العصر الفاطمي.

وستتناول الدراسة نظام الحراسة والمناوبة في هذه الحصون من خلال ما ورد في النصوص التاريخية المعاصرة، وكذلك الأدوار الحضارية التي لعبتها في المنطقة طوال وجودها قبل أن تُهجر، وتخرب، وتصبح أطلال وتلال وأثر بعد عين.